الجزء الاول من السراج المنير في الاعانة
على معرفة بعض معاني كلام ربنا
الحكيم الخبير للشيخ الامام
الخطيب الشربيني قدس
الله روحه ونور بالرحمة
ضريحه
آمين
م

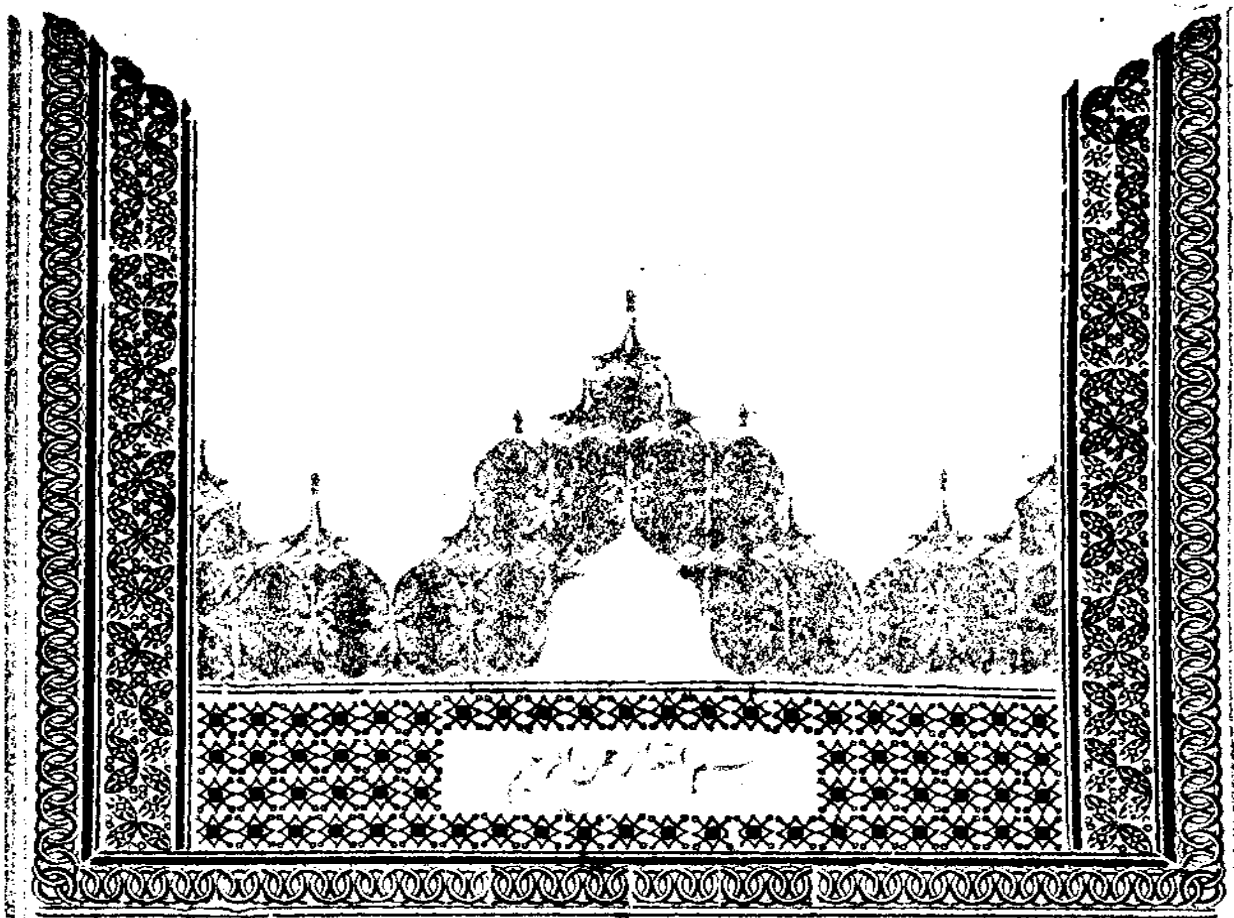

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك السلام المهيمن العلام شارع الاحكام ذى الجلال والاكرام الذى أنزل القرآن بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما فسبحان من استأثر بالأولية والقدم ووسم كل شئ سواه بالحدوث عن العدم ومنّ علينا بنبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وأنعم علينا بكتابه المفرّق بين الحلال والحرام والصلاة والسلام على خير من أوحى اليه حبيب الله أبى القاسم محمد النبىّ الامى المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة وعلى جميع الانبياء والملائكة البررة الكرام عدد ساعات الليالى والايام وعلى آله الاطهار وخلفائه وجميع المهاجرين والانصار وعلى بقية الصحابة الاخيار صلاة وسلاما دائمين متلازمين آناء الليل وأطراف النهار (أمابعد) فيقول فقير رحمة ربه القريب محمد الشربينى الخطيب انّ الله جلّ ذكره أرسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين بشيرا للمؤمنين ونذيرا للمخالفين أكمل به تبيان النبوّة وختم به ديوان الرسالة وأنزل عليه بفضله كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه ناطقا ببينات وحجج قرآنا عربيا غير ذى عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماوية حسناته ظاهرة باهرة فى وجه كل زمان دائرا من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان أعجز الخليقة عن معارضته وعن الاتيان بسورة من مثله فى مقابلته ثم سهل على الخلق مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته أمر فيه وزجر وبشر وأنذر فهو كلام معجز فى رقائق منطوقه ودقائق مفهومه لانهاية لاسرار علومه (وقد ألف أئمة السلف) كتبا

في معرفة احكامه ونزوله كل على قدر فهمه ومبلغ علمه فشكر الله تعالى سعيهم ورحم كافتهم ثم خطر لي أن اقتفي أثرهم وأسلك طريقتهم لعل الله أن يرزقني من مددهم ويعود علي من بركتهم فترددت في ذلك مدة من الزمان خوفا من الدخول في هذا الشان لقوله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ وقول سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برأيه وفي رواية بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وقول أبي بكر رضي الله تعالى عنه لما سئل عن قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال أي سماء تظلني وأي أرض تقلني اذا قلت في كتاب الله تعالى مالا أعلم الى أن يسر الله تعالى لي زيارة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعلى سائر النبيين والآل والصحب أجمعين في أول عام تسعمائة واحد وستين فاستخرت الله تعالى في حضرته بعد أن صليت ركعتين في روضته وسألته أن ييسر لي أمري فشرح الله سبحانه وتعالى لذلك صدري فلما رجعت من سفري واستمر ذلك الانشراح معي وكتمت ذلك في سري حتى قال لي شخص من أصحابي رأيت في منامي اما النبي صلى الله عليه وسلم أو الشافعي يقول لي قل لفلان يعمل تفسيرا على القرآن فعن قليل الا وقد قررت في وظيفة مشيخة تفسير في البيمارستان ثم سألني بعد ذلك جماعة من أصحابي المخلصين وعلى اقتباس العلم مقبلين بعد ان رأوني فرغت من شرح منهاج الطالبين أن أجعل لهم تفسيرا وسطا بين الطويل الممل والقصير المخل فأجبتهم الى ذلك ممتثلا وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فيما يرويه أبو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه انه عليه الصلاة والسلام قال ان رجالا يأتونكم من أقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا أتوكم فاستوصوا بهم خيرا واقتدوا بالماضين من السلف في تدوين العلم ابقاء على الخلف وليس على ما فعلوه مزيد ولكن لابد في كل زمان من تجديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد تنبيها للمتوقفين وتحريضا للمستنبطين وليكون ذلك عونا لي وللقاصرين مثلي مقتصرا فيه على أرجح الاقوال واعراب ما يحتاج اليه عند السؤال وتركت التطويل بذكر أقوال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية وحيث ذكرت فيه شيأ من القراآت فهو من السبع المشهورات . وقد أذكر بعض أقوال وأعاريب لقوة مداركها أو لورودها ولكن بصيغة قيل ليعلم ان المرضي أولها (وسميته) السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير وأسأله من فضله واحسانه أن يجعله عملا مقرونا بالاخلاص والقبول والاقبال وفعلا متقبلا مرضيا زكيا يعد من صالح الاعمال (وقد تلقيت) التفسير بحمد الله من تفاسير متعددة رواية ودراية عن أئمة ظهرت وبهرت مفاخرهم واشتهرت وانتشرت مآثرهم جعني الله واياهم والمسلمين في مستقر رحمته بمحمد وآله وصحابته (وها أنا الآن أشرع) وبحسن توفيقه أقول وهو الموفق لكل خير ومعطي كل مسؤل

قوله فقال أي سماء كثيرا ما تستعمل اعادة العامل لطول الفصل وهو في القول كثير اه مصححه

(سورة فاتحة الكتاب)

وتسمى أم القرآن لانها مفتتحه ومبدؤه فكأنها أصله ومنشؤه ولذلك تسمى أساسا ولانها تشتمل على ما فيه من الثناء على الله تعالى والتعبد بأمره ونهيه وبيان وعده ووعيده أو على جملة معانيه من الحكم النظرية والاحكام العملية التي هي سلوك الطريق المستقيم والاطلاع على مراتب السعداء ومنازل الاشقياء وسورة الكنز لانها نزلت من كنز تحت العرش والوافية والكافية لانها وافية كافية في صحة الصلاة بخلاف غيرها عند القدرة عليها والشافية والشفاء لقوله عليه الصلاة والسلام هي شفاء لكل داء والسبع المثاني لانها سبع آيات باتفاق لكن من عد البسملة آية منها جعل السابعة صراط الذين الى آخرها ومن لم يعدها آية منها جعل السابعة غير المغضوب عليهم الى آخرها وسميت مثاني لانها تثنى في الصلاة أي تكرر فيها بان تقرأ في كل صلاة وفي كل ركعة وقول بعضهم تثنى في كل ركعة فيه تجوز وهي مكية على قول الاكثر وقال مجاهد مدنية وقيل نزلت مرتين مرة بمكة حين فرضت الصلاة ومرة بالمدينة حين حولت القبلة ولذلك سميت مثاني قال البغوي والاول أصح وقال البيضاوي وقد صح أنها مكية بقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني وهو مكي بالنص انتهى وأراد بالنص السنة فقد ثبت ذلك عن ابن عباس وقول الصحابي في القرآن خصوصا في النزول له حكم المرفوع والقرآن العظيم والنور والراقية وسورة الحمد والشكر والدعاء وتعليم المسئلة لاشتمالها على ذلك وسورة المناجاة وسورة التفويض وفاتحة القرآن وأم الكتاب وسورة الحمد الاولى وسورة الحمد القصوى وسورة السؤال والصلاة لخبر قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدني عبدي يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله أثنى علي عبدي يقول العبد مالك يوم الدين يقول الله مجدني عبدي يقول العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله عز وجل هذه الآية بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين يقول الله فهؤلاء لعبدي ولعبدي ما سأل ولانها جزؤها فهو من باب تسمية جزء الشيء باسم كله * وقوله تعالى (بسم الله) أي الملك الاعظم الذي لا تعبد الا اياه (الرحمن) أي الذي عم بنعمتي ايجاده وبيانه جميع خلقه أسفله وأعلاه أدناه وأقصاه (الرحيم) أي الذي خص من بينهم أهل ودته برضاه آية من الفاتحة وعليه قراء مكة والكوفة وفقهاؤهما وابن المبارك والشافعي وقيل ليست منها وعليه قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها والاوزاعي ومالك ويدل للاول ما روى أنه صلى الله عليه وسلم عد الفاتحة سبع آيات وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية منها رواه البخاري في تاريخه وروى الدارقطني عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال اذا قرأتم الحمد لله فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم احدى آياتها وروى ابن خزيمة باسناد صحيح عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم عد بسم الله الرحمن الرحيم آية والحمد لله رب العالمين الى آخرها ست آيات وآية من كل سورة الابراءة لاجماع الصحابة على اثباتها في المصحف بخطه أوائل السور

سوى براءة مع المبالغة فى تجريد القرآن عن الاعشار وتراجم السور والتعوذ حتى لم تكتب امين فلو لم تكن قرآنا لما أجازوا ذلك لانه يحمل على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا وأيضا هى آية من القرآن فى سورة النمل قطعا ثم انا نراها مكررة بخط القرآن فوجب أن تكون منه كما أنا لما رأينا قوله فبأى آلاء ربكما تكذبان وقوله ويل يومئذ للمكذبين مكررا فى القرآن بخط واحد وبصورة واحدة قلنا ان الكل من القرآن (فان قيل) لعلها ثبتت للفصل (أجيب) بأنه يلزم عليه اعتقاد ما ليس بقرآن قرآنا ولثبتت فى أول براءة ولم تثبت فى أول الفاتحة (فان قيل) القرآن انما يثبت بالتواتر (أجيب) بأن محله فيما ثبت قرآنا قطعا أما ما يثبت قرآنا حكما فيكفى فيه الظن كما يكفى فى كل ظنى خلافا للقاضى أبى بكر الباقلانى وأيضا اثباتها فى المصحف بخطه من غير نكير فى معنى التواتر وأيضا قد يثبت التواتر عند قوم دون آخرين (فان قلت) لو كانت قرآنا لكفر جاحدها (أجيب) بأنها لو لم تكن قرآنا لكفر منبتها وأيضا التكفير لا يكون بالظنيات وقد اوضحت ذلك مع زيادة فى شرحى التنبيه والمنهاج أما براءة فليست البسملة آية منها باجماع * (فائدة) * ما أثبت فى المصحف الآن من أسماء السور والاعشار شئ ابتدعه الحجاج فى زمنه والباء فى بسم الله متعلقة بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ لان الذى يتلوه مقروء اذ كل فاعل يبدأ فى فعله باسم الله يضمر ما يجعل التسمية مبدأ له كما أن المسافر اذا حل أو ارتحل فقال بسم الله الرحمن الرحيم كان المعنى بسم الله أحل بسم الله أرتحل وذلك أولى من أن يضمر أبدا لعدم مايطابقه ومايدل عليه ومن أن يضمر ابتدائى لما ذكرنا (فان قيل) المصدر لا يعمل محذوفا (أجيب) بأنه يتوسع فى الظرف والجار والمجرور ما لا يتوسع فى غيرهما وتقديره مؤخرا كما قال الامام الرازى أولى كما فى اياك نعبد واياك نستعين لانه أهم وأدل على الاختصاص وأدخل فى التعظيم وأوفق للوجود فان اسمه تعالى مقدم ذاتا لانه قديم واجب الوجود لذاته فقدم ذكرا (فان قيل) قال الله تعالى اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (أجيب) بأنه فى مقام ابتداء القراءة وتعليمها لانها أول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة أهم باعتبار هذا العارض وان كان ذكر الله تعالى أهم فى نفسه وذكرت أجوبة غير ذلك فى مقدمتى على البسملة والحمدلة والباء للاستعانة أو للمصاحبة والملابسة على جهة التبرك والمعنى متبركا بسم الله اقرأ والثانى أولى لما فيه من التحاشى عن جعل اسمه تعالى آلة والاحسن أن تكون لهما اعما لا للفظ فى معنييه الحقيقيين أو الحقيقى والمجازى عند من يجوزه كما مر منا الشافعى والبسملة وما بعدها الى آخر السورة مقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبركون باسمه ويحمدون على نعمه ويسئلون من فضله ويقدرون فى أول الفاتحة قولوا كما قال الجلال المحلى ليكون ما قبل اياك نعبد مناسبا له بكونه من مقول العباد (فان قيل) من حق حروف المعانى التى جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التى هى أخت السكون نحو وا والعطف وفائه (أجيب) بأنها انما كسرت للزومها الحرفية والجر ولتشابه حركتها عملها وحذفت الالف من بسم خطا كما حذفت لفظا دون باسم ربك وان كان وضع الخط على حكم الابتداء دون الدرج لكثرة الاستعمال وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف

وألحق بها بسم الله مجراها ومرساها وانه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وان لم تكتب في القرآن الا مرة واحدة لشبهها لها صورة (فان قيل) لم حذف في بسم الله دون الله والرحمن الرحيم (أجيب) خطان لا يقاس عليهما خط المصحف وخط العروضيين ولا تحذف الالف اذا أضيف الاسم لغير الله ولا مع غير الباء * والاسم مشتق من السمو وهو العلو لانه رفعة للمسمى وشعار له فهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم لكثرة الاستعمال وبنيت أوائلها على السكون وأدخل عليها مبتدأ بها همزة الوصل لتعذر الابتداء بالساكن ولان من دأبهم أن يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن وقيل من الوسم وهو العلامة فوزنه على الاول افع محذوف اللام وعلى الثاني اعل محذف الفاء وفيه عشر لغات نظمها بعضهم في بيت فقال

سم وسما واسم بتثليث أول * لهن سماء عاشرتمت انجلى

والاسم ان أريد به اللفظ فغير المسمى لانه يتألف من أصوات مقطعة غير قارة ويختلف باختلاف الامم والاعصار ويتعدد تارة ويتحد أخرى والمسمى لا يكون كذلك وان أريد به ذات الشئ فهو المسمى لكنه لم يشتهر بهذا المعنى وقوله سبح اسم ربك الاعلى المراد به اللفظ لانه كما يجب تنزيه ذاته تعالى وصفاته يجب تنزيه الالفاظ الموضوعة لها عن الرفث وسوء الادب أو الاسم فيه مقحم كما في قول الشاعر

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وان أريد به الصفة كما هو رأي أبي الحسن الاشعري انقسم انقسام الصفة عنده الى ما هو نفس المسمى كالواحد والقديم والى ما هو غيره كالخالق والرازق والى ما ليس هو ولا غيره كالعلم والقدرة فانهما زائدان على الذات وليسا غير الذات لان المراد بالغير ما يتفك عن الذات وهما لا ينفكان (فان قيل) لم بدأ ببسم الله دون بالله (أجيب) بأن التبرك والاستعانة بذكر اسمه وللفرق بين اليمين والتيمن * والله علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد وأصله اله قال الراغب كاما ثم ادخلوا عليه الالف واللام ثم حذفت الهمزة ونقلت حركتها الى اللام فصار اللاه بلامين متحركين ثم سكنت الاولى وادغمت في الثانية للتسهيل انتهى والاله في الاصل يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا والحق انه أصل بنفسه غير مأخوذ من شئ بل وضع علما لابتداء فكما أن ذاته لا يحيط بها شئ ولا ترجع الى شئ فكذا اسمه تعالى وقيل مأخوذ من أله اذا تحير اذ العقول تتحير في معرفته وقيل غير ذلك وهو عربي عند الاكثر وعند المحققين انه اسم الله الاعظم وقد ذكره الله تعالى في ألفين وثلثمائة وستين موضعا واختار النووي تبعا لجماعة أنه الحي القيوم قال ولذلك لم يذكر في القرآن الا في ثلاثة مواضع في البقرة وآل عمران وطه * والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة من رحم يتنزيله منزلة اللازم أو بجعله لازما ونقله الى فعل بالضم والرحمة لغة رقة في القلب تقتضي التفضل والاحسان فالتفضل غايتها وأسماء الله تعالى المأخوذة من نحو ذلك انما تؤخذ باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادئ التي تكون انفعالات فرحمة

الله تعالى ارادة ايصال الفضل والاحسان أو نفس ايصال ذلك فهي من صفات الذات على الاول ومن صفات الفعل على الثاني والرحمن أبلغ من الرحيم لان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى كما في قطع بالتخفيف وقطع بالتشديد (فان قيل) حذر أبلغ من حاذر (أجيب) بأن ذلك أكثري لا كلي وبأن الكلام فيما اذا كان المتلاقيان في الاشتقاق متحدي النوع في المعنى كغرث وغرثان لا كحذر وحاذر للاختلاف وقدم الله عليهما لانه اسم ذات وهما اسما صفة والرحمن على الرحيم لانه خاص اذ لا يقال لغير الله بخلاف الرحيم والخاص مقدم على العام وانما قدم والقياس يقتضي الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم عالم نحرير لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره ولذلك رجح جماعة انه علم ولانه لما دل على جلائل النعم وأصولها ذكر الرحيم كالتابع والتتمة والرديف ليتناول ما دق منها ولطف فليس من باب الترقي بل من باب التعميم والتكميل وللمحافظة على رؤس الآي وهل الرحمن مصروف أو لا فيه قولان مال السعد التفتازاني الى جواز الامرين لان شرط منع صرف فعلان صفة وجود فعلى وشرط صرفه وجود فعلانة وكلاهما منتف هنا لكن أظهرهما أنه ممنوع الصرف الحاقا له بما هو الغالب من نظائره في الزيادة والوصف والثاني انه مصروف الحاقا له بالاصل في مطلق الاسم وهو الصرف هذا مع ان المختار في منع صرف ما ذكر انتفاء فعلانة لا وجود فعلى والحاصل انه تعارض في صرفه وعدم صرفه الاصل والغالب (فان قيل) هذا اذا لم تدخله ال (أجيب) بأن المختار ان غير المصروف اذا دخلت عليه ال والعلتان فيه باق على منع صرفه وان جر بالكسرة (فوائد الاولى) الوقف على الله قبيح للفصل بين التابع والمتبوع وعلى الرحمن كذلك وقيل كاف وعلى الرحيم تام (الثانية) عدد حروف البسملة الرسمية تسعة عشر حرفا وعدد ملائكة خزنة النار تسعة عشر قال ابن مسعود من أراد أن ينجيه الله تعالى من الزبانية فليقلها ليجعل الله تعالى له بكل حرف جنة أي وقاية من واحد (الثالثة) قال القشيري في تفسيره قيل الكتب المنزلة من السماء الى الدنيا مائة وأربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وجميع كل الكتب مجموعة في الفاتحة ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة ومعانيها مجموعة في بائها ومعناها هي كان ما كان وبي يكون ما يكون زاد بعضهم ومعاني الباء في نقطتها وتخصيص التسمية بهذه الثلاثة التي هي الله والرحمن والرحيم ليعلم العارف ان المستحق لان يستعان به في جميع الامور هو المعبود الحقيقي الذي هو مولى النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها فيتوجه العارف بجميلته حرصا ومحبة الى جناب القدس ويتمسك بحبل التوفيق ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره (الحمد لله) الحمد اللفظي لغة الثناء باللسان على الجميل الاختياري على قصد التبجيل أي التعظيم سواء أتعلق بالفضائل وهي النعم القاصرة أم بالفواضل وهي النعم المتعدية فدخل في الثناء الحمد وغيره وخرج باللسان الثناء بغيره كالحمد النفسي وبالجميل الثناء باللسان على غير الجميل ان قلنا برأي ابن عبد السلام ان الثناء حقيقة في الخير والشر وان قلنا برأي الجمهور وهو الظاهر انه حقيقة في الخير فقط ففائدة

ذلك تحقيق الماهية أو دفع توهم ارادة الجمع بين الحقيقة والمجاز عند من يجوزه وبالاختياري المدح فانه يعم الاختياري وغيره تقول مدحت اللؤلؤة على حسنها دون حمدتها وظاهر قول الزمخشري الحمد والمدح أخوان انهما مترادفان وبه صرح في الفائق لكن الاوفق ما عليه الاكثر انهما غير مترادفين بل متشابهان معنى أو اشتقاقا كبيرا والاشتقاق ثلاثة أقسام كبير وأكبر وأصغر وقد يعبر عنه بالصغير فالكبير أن يشترك اللفظان في الحروف الاصول من غير ترتيب كالحمد والمدح والاكبر أن يشتركا في أكثر الحروف الاصول كالفلق والفلج والفلذ مع اتحاد في المعنى أو تناسب والاصغر أن يشتركا في الحروف الاصول المرتبة كضرب والضرب وبعلى قصد التجهيل ما كان على قصد الاستهزاء والسخرية نحو قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم وتناول الظاهر والباطن اذ لو تجرد الثناء على الجميل عن مطابقة الاعتقاد أو خالفه أفعال الجوارح لم يكن حمدا بل تهكم أو تمليح وهذا لا يقتضي دخول الجنان والاركان في التعريف لان المطابقة وعدم المخالفة اعتبرا فيه شرطا لا شطرا وعرفا فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الحامد أو غيره سواء كان ذكرا باللسان أم اعتقادا ومحبة بالجنان أم عملا وخدمة بالاركان كما قيل

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

فمورد اللغوي هو اللسان وحده ومتعلقه يعم النعمة وغيرها ومورد العرفي يعم اللسان وغيره ومتعلقه يكون النعمة وحدها فاللغوي أعم باعتبار المتعلق وأخص باعتبار المورد والعرفي بالعكس والشكر لغة هو الحمد عرفا وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله تعالى به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله والمدح لغة الثناء باللسان على الجميل مطلقا على جهة التعظيم وعرفا ما يدل على اختصاص الممدوح بنوع من الفضائل فالشكر أعم من الحمد والمدح من وجه لانه لا يختص باللسان وأخص منهما من وجه آخر لانه يختص بالثناء على الانعام وضد الحمد الذم وضد الشكر الكفران وضد المدح الهجو * وجملة الحمد لله خبرية لفظا انشائية معنى لحصول الحمد بالتكلم بها مع الاذعان لمدلولها ويجوز أن تكون موضوعة شرعا للانشاء وقيل خبرية لفظا ومعنى قال بعضهم وهو التحقيق اذ ليس معنى كونها انشائية الا أنها جملة انشاء الحامد الثناء بها وذلك لا ينافي كونها خبرية بمعنى * ولام لله للملك أو الاستحقاق أو الاختصاص وقيل للتعليل والاولى أنها للاختصاص بالمعنى الاعم الصادق بالملك وبالاستحقاق لا بالمعنى الاخص المقابل لهما وعلى كل فهي متعلقة بمحذوف هو الخبر حقيقة فالحمد مختص بالله كما أفادته الجملة الاسمية سواء أجعلت لام التعريف فيه للاستغراق كما عليه الجمهور وهو ظاهر أم للجنس كما عليه الزمخشري لان لام لله للاختصاص كما مر فلا فرد منه لغيره أم للعهد كما تقول في قوله تعالى اذهما في الغار كما نقله ابن عبد السلام وأجازه الواحدي على معنى ان الحمد الذي حمد الله به نفسه وحمده به أنبياؤه وأولياؤه مختص به والعبرة بحمد من ذكر فلا فرد منه لغيره وأولى الثلاثة الجنس زاد بعضهم او للكمال كما افاده سيبويه في الداخلة على الصفات كالرحمن الرحيم قال البيضاوي اذ الحمد

فى الحقيقة كله له اذ ما من خير الا وهو موليه بوسط أو بغير وسط كما قال وما بكم من نعمة فمن الله انتهى (فان قيل) بل هو موليه مطلقا بغير وسط (أجيب) بان المراد بالوسط من تصل اليه النعمة أولا ثم تنتقل منه الى غيره لا أنه وسط فى التأثير (فان قيل) لم خص الحمد بالله ولم يقل الحمد للخالق أو نحوه من بقية الصفات (أجيب) بأن لا يتوهم اختصاص استحقاق الحمد بوصف دون وصف قال البيضاوى وفيه اشعار بأنه تعالى حىّ قادر مريد عالم اذ الحمد لا يستحقه الا من كان هذا شأنه (رب العالمين) أى مالك جميع الخلق من الانس والجن والملائكة والدواب وغيرهم اذ كل منها يطلق عليه عالم يقال عالم الانس وعالم الجن الى غير ذلك وسمى المالك بالرب لانه يحفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غيره تعالى الا مقيدا كقوله تعالى ارجع الى ربك والعالمين اسم جمع عالم بفتح اللام وليس جمعا له لان العالم عام فى العقلاء وغيرهم والعالمين مختص بالعقلاء والخاص لا يكون جمعا لما هو أعم منه قاله ابن مالك وتبعه ابن هشام فى توضيحه وذهب كثير الى أنه جمع عالم على حقيقة الجمع ثم اختلفوا فى تفسير العالم الذى جمع هذا الجمع فذهب أبو الحسن الى أنه أصناف الخلق العقلاء وغيرهم وهو ظاهر كلام الجوهرى وذهب أبو عبيدة الى انه أصناف العقلاء فقط وهم الانس والجن والملائكة وقيل عنى به الناس ههنا فان كل واحد منهم عالم من حيث انه يشتمل على نظائر ما فى العالم الكبير ووجه اشتمال الصغير وهو الانسان على نظائر ما فى الكبير وهو ما سوى الله تعالى أن تفاصيله شبيهة بتفاصيل العالم الكبير اذ الكبير ينقسم الى ظاهر محسوس كعالم الملك وهو ما ظهر للحواس وتكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وتضمنه التغيير والى باطن معقول كعالم الملكوت وهو ما أوجده سبحانه وتعالى بالامر الازلى بلا تدريج وبقى على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه والى عالم الجبروت وهو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون فى الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الازلية بما هو من عالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كاللحم والعظم والدم والى باطن كالروح والعقل والارادة والقدرة والى ما هو مشابه لعالم الجبروت كالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة باجزاء البدن (فان قيل) لم جمع جمع قلة مع ان المقام يستدعى الاتيان بجمع الكثرة (أجيب) بأن فيه تنبيها على انهم وان كثروا قليلون فى جنب عظمته وكبريائه تعالى (الرحمن الرحيم مالك يوم الدين) ذكر سبحانه وتعالى فى هذه السورة من اسمائه خمسة الله والرب والرحمن والرحيم والمالك والسبب فيه كانه يقول خلقتك أولا فانا الله ثم ربيتك بوجود النعمة فانا رب ثم عصيت فسترت عليك فانا رحمن ثم تبت عليك فانا رحيم ثم لا بد من ايصال الجزاء اليك فانا مالك يوم الدين (فان قيل) انه تعالى ذكر الرحمن الرحيم فى التسمية ثم ذكرهما مرة ثانية دون الاسماء الثلاثة الباقية فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بأن الحكمة فى ذلك كأنه قال تعالى اذكر أنى اله ورب مرة واحدة واذكر انى رحمن رحيم مرتين ليعلم أن العناية بالرحمة أكثر منه بسائر الامور ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال لا تغتروا بذلك فانى مالك يوم الدين ونظيره قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب وقرأ عاصم والكسائى مالك

بألف بعد الميم ويعضده قوله تعالى لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله وقرأ الباقون بغير ألف ويعضده قوله تعالى ملك الناس وبينهما عموم مطلق فكل ملك مالك ولا عكس لعموم ولاية الملك التزاما لا مطابقة ولا يقدح فيها أن تقول مالك الدواب والانعام والوحوش والطير دون ملكها لان ذلك ليس من جهة عدم شمول حياطته لذلك بل من جهة انه انما يضاف عرفا الى ما فيه انقياد وامتثال وينفذ فيه التصرف بالامر والنهى قاله السعد التفتازانى وقيل هما بمعنى وهو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وهو يوم القيامة وخص بالذكر لانه لا ملك ظاهر فيه لاحد الا الله تعالى لمن الملك اليوم لله (فان قيل) اضافة اسم الفاعل غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (أجيب) بأنها انما تكون غير حقيقية اذا أريد باسم الفاعل الحال أو الاستقبال فكان فى تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة أو غدا فاما اذا قصد به معنى الاستمرار أى هو موصوف بذلك دائما فتكون الاضافة حقيقية كغافر الذنب فصح وقوعه صفة للمعرفة (فان قيل) التقييد بيوم الدين ينافى الاستمرار لكونه صريحا فى الاستقبال (أجيب) بأن معناه الثبوت والاستمرار من غير اعتبار حدوث فى أحد الازمنة ومثل هذا المعنى لا يمتنع أن يعتبر بالنسبة الى يوم الدين كأنه قيل هو ثابت المالكية فى يوم الدين أو المراد انه جعل يوم الدين لتحقق وقوعه بمنزلة الواقع فتستمر مالكيته فى جميع الازمنة * (تنبيه) * اجراء هذه الاوصاف على الله تعالى من كونه ربا للعالمين موجدا لهم منعما عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها عاجلها وآجلها ما لكا لامورهم يوم الثواب والعقاب للدلالة على انه تعالى الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه بل لا يستحقه على الحقيقة سواه فان ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له (اياك نعبد واياك نستعين) اياضمير منصوب منفصل وما يلحقه من الياء والكاف والهاء حروف زيدت لبيان التكلم والخطاب والغيبة لا محل لها من الاعراب وفيه أقوال أخر ذكرتها فى شرح القطر (فان قيل) لم كرر ضمير اياك (أجيب) بأنه كرر للتنصيص على انه المستعان به لا غيره (فان قيل) لم قدمت العبادة على الاستعانة (أجيب) لتتوافق رؤس الآى وليعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة أدعى الى الاجابة وأيضا لما نسب المتكلم العبادة الى نفسه أوهم ذلك فرحا واعترافا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله واياك نستعين ليدل على أن العبادة أيضا مما لا تتم ولا تتيسر له الا بمعونة منه تعالى وتوفيق (فان قيل) لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (أجيب) بان عادة العرب التفنن فى الكلام والعدول من أسلوب الى آخر تحسينا للكلام وتنشيطا للسامع فيكون أكثر اصغاء للكلام فتعدل من الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم وبالعكس فيهما فهذه أقسام أربعة ذكرها البيضاوى والتحقيق كما قاله بعض المتأخرين انها ستة لان الملتفت اليه اثنان وكل منهما اما غيبة أو خطاب أو تكلم من ذلك قوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم الاصل بكم فهو والتفات من الخطاب الى الغيبة وقوله تعالى والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الاصل فساقه فهو

التفات من الغيبة الى التكلم * والاستعانة طلب معونة وهي اما ضرورية أو غير ضرورية فالضرورية ما لا يتأتى الفعل دونه كاقتدار الفاعل وتصوره وحصول آلة ومادة يفعل بها فيها وعند استجماع ذلك يوصف الرجل بالاستطاعة ويصح أن يكلف بالفعل وغير الضرورية تحصيل ما يتيسر به الفعل ويسهل كالراحلة في السفر للقادر على المشي أو يقرب الفاعل الى الفعل ويحثه عليه وهذا القسم لا يتوقف عليه صحة التكليف غالبا وقد يتوقف كاكثر الواجبات المالية (فان قيل) لم أطلقت الاستعانة (أجيب) بأنها انما أطلقت لاجل أنها تتناول المعونة في المهمات كلها أو في أداء العبادات واستحسن هذا الزمخشري قال لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض * (تنبيه) * الضمير المستكن في نعبد ونستعين للقارئ ومن معه من الحفظة وحاضري صلاة الجماعة أوله ولسائر الموحدين أدرج عبادته في تضاعيف عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعل عبادته تقبل ببركة عبادتهم وحاجته يجاب اليها ببركة حاجتهم ولهذا شرعت الجماعة في الصلاة (فان قيل) لم قدم المفعول (أجيب) بأن تقديمه للتعظيم والاهتمام به والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه نعبدك ولا نعبد غيرك وتقديم ما هو مقدم في الوجود والتنبيه على أن العابد ينبغي أن يكون نظره الى المعبود أولا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق في ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من أحوالها الا من حيث انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكي عن حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لا تحزن ان الله معنا على ما حكاه عن كليمه موسى صلى الله عليه وسلم حيث قال ان معي ربي سيهدين لان الاول قدم ذكر الله تعالى على المعية والثاني بالعكس (اهدنا الصراط المستقيم) بيان للمعونة المطلوبة فكأنه قال كيف أعينكم فقالوا اهدنا والهداية الدلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير (فان قيل) قال الله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم (أجيب) بأنه وارد على التهكم * (تنبيه) * هدى أصله أن يتعدى باللام أو بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا وقد يتعدى بنفسه كما هنا وهو حينئذ محتمل لاضمار الحرف ولعدم اضماره وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عدد كما قال تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ولكنها تنحصر في اجناس مرتبة الاول افاضة القوى التي يتمكن بها المؤمن من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه أشار تعالى حيث قال وهديناه النجدين أي طريقي الخير والشر وقال وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله تعالى وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع أن يكشف لقلوبهم السرائر ويريهم الاشياء

قوله واستحسن هذا الزمخشري عبارته فان قلت لم أطلقت الاستعانة قلت لتتناول كل مستعان فيه والاحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كانه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان أحسن لتلاؤم الخ اه فتأمل اه مصححه

كما هي بالوحي والالهام والمنامات الصادقة وهذا القسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى تعالى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا (فان قيل) مامعنى طلب الهداية وهم مهتدون (أجيب) بأنهم طلبوا زيادة ما منحوه من الهدى والثبات عليه كقوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى والصراط من قلب السين صاد ليطابق الطاء في الاطباق وقد تشم الصاد صوت الزاى ليكون أقرب الى المبدل منه قرأ حمزة الصراط المعرف في هذه السورة بالاشمام وهو أن ينطق القارئ بحرف متولد بين الصاد والزاى وأشم خلف صراط الثانى كالاول وكذا جميع ما في القرآن من معرف ومنكر وقرأ قنبل جميع ما في القرآن بالسين وقرأ الباقون بالصاد الخالصة في الجميع وهذه لغة قريش وهي الثابتة في الامام وهو مصحف سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه والمستقيم المستوى والمراد به طريق الحق وقيل ملة الاسلام وهذان القولان مرويان عن ابن عباس وهما متحدان صدقا وان اختلفا مفهوما (صراط الذين أنعمت عليهم) بالهداية بدل من الاول بدل كل من كل والعامل فيه مقدر على رأى الجمهور وقيل العامل فيه هو العامل في المبدل منه وهو ظاهر مذهب سيبويه واختاره ابن لك (فان قيل) ما فائدة ذكر صراط الذين أنعمت عليهم بدلا تابعا وهلا اقتصر عليه مع انه المقصود بالنسبة (أجيب) بأن فائدته التوكيد والتنصيص على أن طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة على آكد وجه وأبلغه لانه جعل كالتفسير والبيان له فكانه من البين الذى لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين وهذا هو الموافق لما خرج ابن جرير عن ابن عباس ان المراد بالذين أنعمت عليهم الانبياء والملائكة والصديقون والشهداء ومن أطاعه وعبده وقيل الذين أنعمت عليهم الانبياء خاصة صلوات الله وسلامه عليهم وقيل أصحاب موسى وعيسى قبل التحريف والنسخ *(تنبيه)* أطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا أصابته واشتملت عليه و يبدل من الذين بصلته (غير المغضوب عليهم) وهم اليهود لقوله تعالى فيهم من لعنه الله وغضب عليه (ولا) أى وغير (الضالين) وهم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا الآية ونكتة البدل افادة ان المهتدين ليسوا يهودا ولا نصارى وقيل ان غير صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله تعالى والضلال وقيل المغضوب عليهم هم الكفار والضالون هم المنافقون وذلك لانه تعالى بدأ في أول البقرة بذكر المؤمنين والثناء عليهم في خمس آيات ثم اتبعه بذكر الكفار وهو المراد من قوله تعالى ان الذين كفروا ثم اتبعهم بذكر المنافقين وهو قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ وكذا ههنا بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله أنعمت عليهم ثم اتبعهم بذكر الكفار وهو قوله غير المغضوب عليهم ثم اتبعهم بذكر المنافقين بقوله ولا الضالين (فان قيل) كيف صح أن يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان أضيف الى المعارف (أجيب) بأنه يصح بأحد تأويلين أحدهما اجراء الموصول مجرى النكرة اذ لم يقصد به معهود كالمحلى باللام في قول القائل * ولقد أمر على اللئيم يسبني * أى

لئلا يسبق اذلام ورعلى الكل والثانى جعل غير معرفة بالاضافة لانه أضيف الى ماله ضد واحد وهو المنعم عليه فليس فى غير اذن الابهام الذى يأبى عليه أن يتعرف * (تنبيه) * انما سمى كل من اليهود والنصارى بما ذكر مع أنه مغضوب عليه وضال لاختصاص كل منهما بما غلب عليه وقال صلى الله عليه وسلم ان المغضوب عليهم اليهود وان الضالين النصارى رواه ابن حبان وصححه وقيل المغضوب عليهم العصاة والضالين الجاهلون بالله لان المنعم عليه من وفق للجمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فكان المقابل له من اختل احدى قوتيه العاقلة والعاملة والمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه لقوله تعالى فى القاتل عمدا وغضب الله عليه والمخل بالعمل جاهل ضال لقوله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال (فان قيل) ما معنى غضب الله لان الغضب ثوران النفس عند ارادة الانتقام أو تغير يحصل عند ثوران دم القلب ارادة الانتقام وهو محال فى حقه تعالى (أجيب) بأنه اذا أسند الى الله تعالى أريد به المنتهى والغاية فمعناه ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعل الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته (فان قيل) أى فرق بين عليهم الاولى والثانية (أجيب) بأن محل مجرور الاولى النصب على المفعولية ومحل مجرور الثانية الرفع لانه نائب مناب الفاعل (فان قيل) لم دخلت لا فى ولا الضالين (أجيب) بأنها بمعنى غير كما قرر ته تبعا للجلال المحلى وأنها مزيدة كما قال الزمخشرى لتأكيد ما فى غير من معنى النفى كأنه قال لا المغضوب عليهم ولا الضالين وللتصريح بتعلق النفى بكل من المعطوف والمعطوف عليه * (فائدة) * أول السورة مشتمل على الحمد لله والثناء عليه والمدح له وآخرها مشتمل على الذم للمعرضين عن الايمان به والاقرار بطاعته وذلك يدل على أن مطلع الخيرات وعنوان السعادات هو الاقبال على الله ومطلع الآفات ورأس المخالفات هو الاعراض عن الله تعالى والبعد عن طاعته والاجتناب عن خدمته (فان قيل) ما فائدة غير المغضوب الخ بعد ذكر أنعمت عليهم (أجيب) بأن الايمان انما يكمل بالرجاء والخوف كما قال عليه الصلاة والسلام لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا فقوله صراط الذين أنعمت عليهم يوجب الرجاء الكامل وقوله غير المغضوب عليهم الخ يوجب الخوف الكامل وحينئذ يتقوى الايمان بركنيه وطرفيه وينتهى الى حد الكمال وقرأ حمزة عليهم غير المغضوب عليهم بضم الهاء وقفا ووصلا وكذا جميع ما فى القرآن وقرأ ابن كثير عليهم بواو بعد الميم فى الوصل فاذا وقف أسقط الواو وكذا يفعل فى كل ميم جمع بعدها حرف متحرك وأما قالون فهو مخير فى ميم الجمع ان شاء وصلها بواو كابن كثير وان شاء لا يصلها بواو وأما ورش فانه يصل ميم الجمع بواو ان كان بعدها همزة قطع فيصير عنده مد منفصل وفى ولا الضالين مدان لازم وعارض فاللازم هو الذى على الالف بعد الضاد قبل اللام المشددة والعارض هو الذى على الياء قبل النون * والسنة للقارئ أن يقول بعد فراغه من الفاتحة امين مفصولا عن الفاتحة بسكتة وهو اسم الفعل الذى هو استجب وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معناه فقال افعل بنى على الفتح كأين لالتقاء الساكنين ويجوز مد ألفه وقصرها قال مجنون ليلى

يارب لا تسلبني حبها أبدا * ويرحم الله عبدا قال آمينا

أي بالمد وقال جبير لما سأل الاسدي المسمى بفطحل

تباعد عني فطحل اذ سألته * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا

فذكره مقصورا وكان من حقه التأخير لان التأمين انما يكون بعد الدعاء لكن قدمه للضرورة وليس امين من القران اتفاقا بدليل أنه لم يثبت في المصاحف كما مرت الاشارة اليه ولكن يسن ختم السورة به لقوله صلى الله عليه وسلم علمني جبريل عليه السلام امين عند فراغي من قراءة الفاتحة كما رواه البيهقي وغيره وقال صلى الله عليه وسلم انه كالختم على الكتاب كما رواه أبو داود في سننه وقال علي رضي الله تعالى عنه امين خاتم رب العالمين ختم به دعاء عبده رواه الطبراني وغيره لكن بسند ضعيف يقوله الامام ويجهر به في الجهرية لما روي عن وائل بن حجر أنه عليه الصلاة والسلام كان اذا قرأ ولا الضالين قال امين ورفع بها صوته وعن الحسن لا يقوله الامام لانه الداعي وعن أبي حنيفة مثله والمشهور عنه وعن أصحابه أنه يخفيه والمأموم يؤمن مع امامه لقوله صلى الله عليه وسلم اذا قال الامام ولا الضالين فقولوا امين فان الملائكة تقول امين وان الامام يقول امين فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه زاد الجرجاني في أماليه وما تأخر وأحسن ما فسر به هذا الخبر ما رواه عبد الرزاق عن عكرمة قال صفوف أهل الارض تلي صفوف أهل السماء فاذا وافق تأمين من في الارض تأمين من في السماء غفر للعبد قال ابن حجر ومثل هذا لا يقال بالرأي فالمصير اليه أولى وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابي ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قال بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته رواه الترمذي وقال حسن صحيح وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ناداه مناد فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا أعطيته وما رواه البيضاوي عن حذيفة بن اليمان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة حديث موضوع

(سورة البقرة مدنية)

(وهي مائتان وسبع وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم الم) قال الشعبي وجماعة الم وسائر حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله سبحانه وتعالى وفائدة ذكرها طلب الايمان بها والسبب في ذلك أن العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش والله تعالى استأثر بعلم لا تقدر عليه

عقول الانبياء والانبياء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العلماء والعلماء استأثروا بعلم لا تقدر عليه عقول العامة وقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن أوائل السور وقال على رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى قال داود بن أبى هند كنت أسأل الشعبى عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور فدعها واسأل عما سوى ذلك وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال معنى الم أنا الله أعلم ومعنى الر أنا الله أرى ومعنى المر أنا الله أعلم وأرى قال الزجاج وهذا حسن فان العرب تذكر حرفا من كلمة تريدها كقولهم * قلت لها قفى فقالت قاف اى وقفت وقيل هى أسماء السور وعليه اطباق أكثر المتكلمين واختاره الخليل وسيبويه سميت بها اشعارا بأنها كلمات معروفة التركيب فلو لم تكن وحيا من الله تعالى لم تتساقط قدرتهم عند معارضتها ونقضه الامام الرازى بأنها لو كانت اسماء لها لوجب اشتهارها بها وقد اشتهرت بغيرها كسورة البقرة وآل عمران وقيل أسماء للقرآن قاله قتادة والحكمة فى الاتيان بهذه الاحرف الثلاثة أن الالف من أقصى الحلق وهو مبدأ المخارج واللام من طرف اللسان وهو وسطها والميم من الشفة وهى آخرها جمع الله تعالى بينها ايماء الى أن العبد ينبغى أن يكون أول كلامه وأوسطه وآخره ذكر الله تعالى ولما تكاثر وقوع الالف واللام فى تراكيب الكلام جاءتا فى معظم الفواتح مكررتين وهى فواتح سورة البقرة وأول آل عمران والاعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة (فان قيل) هلا عددت هذه الاحرف بأجمعها فى أوائل القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور (أجيب) بأن اعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده فى غير موضع واحد أوصل الى الغرض وأقرله فى الاسماع والقلوب من أن يتردد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء فى القرآن فطلوب به تمكين المكرر فى النفوس وتقريره (فان قيل) هلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت أعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة أحرف والمص والمر على أربعة أحرف وكهيعص وحمعسق على خمسة أحرف (أجيب) بأن هذا على عادة افتنانهم فى أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب عدة وكما أن أبنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة أحرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح تلك المسالك (فان قيل) ما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التى اختصت بها (أجيب) بأنه لما كان الغرض هو التنبيه والمبادى كلها فى تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض أولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل بذلك (فان قيل) هل لهذه الفواتح محل من الاعراب (أجيب) بأن لها محلا عند من جعلها أسماء لانها عنده كسائر الاعلام محلها يحتمل ثلاثة أوجه اما الرفع بأنها مبتدأ أو خبر لمبتدا محذوف أى هذه الم أو النصب بفعل مقدر كاذكر أو اقرأ أو اتل الم أو الجر بتقدير حذف حرف القسم (ذلك الكتاب) الذى تقرؤه

يا محمد على الناس (لا ريب فيه) لا شك في أنه من عند الله تعالى (فان قيل) لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد (أجيب) بأن الاشارة وقعت فيه للتعظيم ولذلك قال الطيبي أحسن ما قيل في توجيهه ذلك قول صاحب المفتاح قال ذلك الكتاب ذهابا الى بعده درجة وقيل وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال نبي الله يوسف صلى الله عليه وسلم لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل سبحانه وتعالى الى المرسل اليه صلى الله عليه وسلم وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيأ احتفظ بذلك أي تمسك به وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود انزاله بقوله تعالى انا سنلقي عليك قولا ثقيلا أو في الكتب المتقدمة لان سورة البقرة مدنية كما مر وأكثرها احتجاج على اليهود وعلى بني اسرائيل وقد كانت بنو اسرائيل أخبرهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ان الله يرسل محمدا وينزل عليه كتابا فقال تعالى ذلك الكتاب أي الذي أخبر الانبياء المتقدمون بأن الله سينزله على النبي المبعوث من ولد اسمعيل وقيل انه تعالى لما أخبر عن القرآن بأنه في اللوح المحفوظ بقوله وانه في أم الكتاب لدينا وقد كان صلى الله عليه وسلم أخبر أمته بذلك فغير ممتنع أن يقول تعالى ذلك الكتاب ليعلم أن هذا المنزل هو ذلك الكتاب المثبت في اللوح المحفوظ والكتاب مصدر سمي به المفعول للمبالغة أو فعال بني للمفعول كاللباس ثم أطلق على المنظوم عبارة قبل أن يكتب لانه مما يكتب وأصل الكتب الضم والجمع سمي الكتاب كتابا لانه جمع حرف الى حرف والكتاب جاء في القرآن على وجوه * أحدها الفرض قال تعالى كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وثانيها الحجة والبرهان قال تعالى فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين أي برهانكم وثالثها الاجل قال تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم أي أجل ورابعها بمعنى مكاتبة السيد رقيقه قال تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم (فان قيل) كيف نفى الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه (أجيب) بأن الله تعالى ما نفى أن أحدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه لوضوحه وسطوع برهانه بحيث لا ينبغي لاحد أن يرتاب فيه ألا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله فانه لم ينف عنهم الريب بل أرشدهم الى الطريق المزيح للريب وهو أن يجتهدوا في معارضة سورة من سوره ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة وقيل هو خبر بمعنى النهي أي لا ترتابوا فيه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج أي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا والريب في الاصل مصدر رابني الشيء اذا حصل فيه الريبة وهي قلق النفس واضطرابها سمي به الشك لانه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة وفي الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق طمأنينة رواه الترمذي لكن بلفظ فان الصدق

طمأنينة والكذب ريبة وصححه ومعناه اترك مافيه شك الى مالاشك فيه فاذا ارتابت نفسك في شيء فاتركه أو اطمأنت اليه فافعله فان نفس المؤمن تطمئن الى الصدق وترتاب من الكذب وهذا مخصوص بذوي النفوس الشريفة القدسية الطاهرة * (تنبيه) * جملة النفي خبر مبتدؤه ذلك و(هدى) خبر ثان أي هاد (للمتقين) الصائرين الى التقوى بامتثال الاوامر واجتناب النواهي لاتقائهم بذلك النار وتخصيص المتقين بالذكر تشريفا لهم ولانهم هم المنتفعون بالهدى كما قال تعالى انما أنت منذر من يخشاها وقال تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وقد كان صلى الله عليه وسلم منذرا لكل الناس لان هؤلاء هم الذين انتفعوا بانذاره * ولها ثلاث مراتب * الاولى التوقي من العذاب المخلد بالتبري عن الشرك وعليه قوله تعالى وألزمهم كلمة التقوى * والثانية التجنب عن كل مايؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهذا التجنب هو المتعارف بالتقوى في الشرع وهو المعنى بقوله تعالى ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا وعلى هذا قول عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ماحرم الله وأداء ماافترض الله فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير * والثالثة أن يتنزه عما يشغل سره عن الحق تعالى وهذه هي التقوى الحقيقية المطلوبة بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وقال ابن عمر التقوى أن لاترى نفسك خيرا من أحد قرأ ابن كثير فيه هدى فيصل الهاء من فيه بياء في الوصل لانها مكسورة وقبلها ساكن فان كانت هاء الكناية مضمومة وقبلها ساكن وصلها بواو فان كان قبلها متحرك وبعدها متحرك فجميع القراء يصلونها مكسورة بياء ويصلونها مضمومة بواو فمثال المكسورة به أن يوصل ومثال المضمومة قال له صاحبه وهو وما أشبه ذلك فان كان قبلها متحرك وبعدها ساكن فالجميع على عدم الصلة مثال ذلك به الله وله الملك وما أشبه ذلك ويدغم أبو عمرو الهاء في الهاء بخلاف عنه وكذا كل مثلين مالم يكن الحرف المدغم تاء متكلم مثل كنت ترابا أو تاء مخاطب مثل أفأنت تكره الناس أو منونا مثل سميع عليم أو مشددا مثل فتم ميقات ربه * ثم وصف المتقين بما هو شأنهم بقوله (الذين يؤمنون بالغيب) أي يصدقون بما غاب عنهم من البعث والجزاء والجنة والنار والصراط والميزان والايمان لغة التصديق وشرعا قيل التصديق بما علم بالضرورة أنه من دين محمد صلى الله عليه وسلم كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء ومجموع ثلاثة أمور اعتقاد الحق والاقرار به والعمل بمقتضاه عند جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج والاصح أنه التصديق وحده ويدل له أنه تعالى أضاف الايمان الى القلب فقال كتب في قلوبهم الايمان وقال وقلبه مطمئن بالايمان وقال ولم تؤمن قلوبهم وعطف عليه العمل الصالح في مواضع لاتحصى وقرنه بالمعاصي فقال وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى فلو لم يكن الايمان التصديق فقط بل هو وترك المعاصي لم يكونوا مؤمنين (فان قيل) قال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه وغيره ان الايمان قول وعمل ويزيد وينقص (أجيب) بأن ذلك محمول على الايمان الكامل وقرأ ورش والسوسي بابدال الهمزة الساكنة في يؤمنون واوا وكذا يقرأ حمزة في الوقف (ويقيمون الصلاة) أي يديمونها

ويحافظون عليها فى مواقيتها بحدودها وأركانها وهيآتها يقال قام بالامر وأقامه اذا أتى به يعطى حقوقه لان الحقيق بالمدح من راعى حدودها الظاهرة من الفرائض والسنن وحقوقها الباطنة كالخشوع والاقبال على الله تعالى لا المصلون الذين هم عن صلاتهم ساهون ولذلك ذكر فى سياق المدح والمقيمين الصلاة وفى معرض الذم فويل للمصلين والمراد بها الصلوات الخمس ذكر بلفظ الوحدان كقوله تعالى فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق يعنى الكتب والصلاة فى اللغة الدعاء قال الله تعالى وصل عليهم أى ادع لهم وفى الشرع اسم لأفعال وأقوال مخصوصة مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وقرأ ورش بتغليظ اللام فى الصلاة حيث جاء (ومما رزقناهم) أى أعطيناهم (ينفقون) يخرجون المال فى طاعة الله فرضا كان أو نفلا ومن فسره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والاصل فيه أو خصصه بها لاقترانها بالصلاة لانهما يذكران معا فى القرآن ويحتمل أن يراد به الانفاق مما منحهم الله من النعم الظاهرة والباطنة ويؤيده ما رواه الطبرانى فى الاوسط مرفوعا مثل الذى يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذى يكنز الكنز فلا ينفق منه والى هذا ذهب من قال ومما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون والرزق بالكسر فى اللغة الحظ قال الله تعالى وتجعلون رزقكم أى حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون وأما بالفتح فهو مصدر بمعنى اعطاء الحظ كما أنه بالكسر يكون مصدرا أيضا كما قيل به فى قوله تعالى ومن رزقناه منا رزقا حسنا وفى العرف اسم لكل ما ينتفع به حتى الولد والرقيق والمعتزلة لما استحالوا من الله أن يمكن من الحرام لانه تعالى منع من الانتفاع به وأمر بالزجر عنه قالوا الرزق لا يتناول الحرام ألا ترى أنه تعالى أسند الرزق ههنا الى نفسه ايذانا بأنهم ينفقون الحلال الصرف الطيب وأن انفاق الحرام لا يوجب المدح وذم المشركين على تحريم بعض ما رزقهم الله تعالى بقوله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وأجاب أهل السنة عما ذكر بأن الاسناد للتعظيم والتحريض على الانفاق والذم بتحريم ما لم يحرم واختصاص ما رزقهم بالحلال للقرينة وعمم والشمول الرزق له بما رواه ابن ماجه وغيره من حديث صفوان بن أمية قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه عمرو بن قرة فقال يا رسول الله ان الله قد كتب على الشقوة فلا أراني أرزق الا من دفي بكفي فأذن لى فى الغناء من غير فاحشة فقال لا آذن لك ولا كرامة كذبت أى عدو الله لقد رزقك الله حلالا طيبا فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله وبأنه لو لم يكن رزقا لم يكن المتغذى به طول عمره مرزوقا وليس كذلك لقوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها * (تنبيه) * تقديم رزقناهم على ينفقون للاهتمام به وللمحافظة على رؤس الآى وادخال من التبعيضية عليه للكف عن الاسراف المنهى عنه فى حق من لم يصبر على الاضاقة والافلاس باسراف فقد تصدق أبو بكر رضى الله تعالى عنه بجميع ماله ولم ينكر عليه النبى صلى الله عليه وسلم (والذين يؤمنون بما أنزل اليك) أى القرآن باسره والشريعة عن آخرها وانما عبر عنه بلفظ المضى وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد فيكون

مجازا

مجازا باعتبار تسمية الكل باسم البعض أو تنزيلا للمنتظر منزلة الواقع فيكون استعارة باعتبار تشبيه غير المتحقق بالمتحقق وفى كل من هذين الوجهين جمع بين الحقيقة والمجاز وهو جائز عند الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه (وما أنزل من قبلك) أى التوراة والانجيل وغيرهما من سائر الكتب السابقة على القرآن والايمان بالانزالين جملة فرض عين وبالاول دون الثانى تفصيلا من حيث انا متعبدون بتفاصيله فرض ولكن على الكفاية لان وجوبه على كل أحد يوجب الحرج ويشوش المعاش وهذه الآية فى المؤمنين من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأمثاله * (فائدة) * الكتب المنزلة مائة وأربعة كتب أنزل على السيد شيث ستون صحيفة وعلى السيد ابراهيم ثلاثون وعلى السيد موسى قبل التوراة عشر فهذه مائة والاربعة الاخرى التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم واختلف القراء فى مد وقصر ما أنزل فقالون والدورى عن أبى عمرو يمدان ويقصران وابن كثير والسوسى يقصران بلا خلاف وباقى القراء وهم ورش وعاصم وحمزة والكسائى يمدون بلا خلاف ويتفاوتون فى طول المد فأطولهم مدا ورش وحمزة ودونهما عاصم ودونه ابن عامر والكسائى وهكذا كل مد منفصل (وبالآخرة هم يوقنون) أى يعلمون أنها كائنة لان اليقين هو العلم بالشئ بعد ان كان صاحبه شاكا فيه قاله الامام الرازى ولذلك لا يوصف به العلم القديم ولا العلوم الضرورية فلا يقال تيقن الله كذا ولا تيقنت أن الكل أكبر من الجزء * (فائدة) * سميت الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة وسميت الآخرة آخرة لتأخرها وكونها بعد فناء الدنيا وهى تأنيث الآخر صفة الدار بدليل قوله تعالى تلك الدار الآخرة قرأ ورش الاخرة بنقل حركة الهمزة الى الساكن قبلها حيث جاء وكذا الارض وقد افلح ومن امن وما أشبه ذلك (أولئك) الموصوفون بما ذكر (على هدى) أى رشد (من ربهم) ونكر هدى للتعظيم فكأنه أريد به ضرب لا يبالغ كنهه ولا يتبادر قدره وأكد تعظيمه بأن الله مانحه والموفق له * (تنبيه) * جميع القراء يمدون أولئك بلا خلاف لانه متصل لكن مرتبة ابن كثير وابى عمرو دون مرتبة ابن عامر والكسائى فى المتصل والمنفصل وأولاء كلمة معناها الكناية عن جماعة والكاف للخطاب كما فى حرف ذلك (وأولئك هم المفلحون) أى الفائزون بالجنة والناجون من النار كرر فيه اسم الاشارة تنبيها على أن اتصافهم بتلك الصفات يقتضى كل واحد من الاختصاصين وأن كلا منهما كاف فى تمييزهم بها عن غيرهم فلا يحتاجون فيه الى مجموعهما (فان قيل) لم وسط العاطف بين هاتين الجملتين دون قوله تعالى أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (أجيب) بأن الجملتين هنا مختلفتان باختلاف المسندين فيهما اذ على هدى من ربهم والمفلحون وان تناسبتا تعلقا مختلفتان مفهوما ووجودا ومقصودا لان الهدى فى الدنيا والفلاح فى العقبى واثبات كل منهما مقصود فى نفسه بخلاف كالانعام والغافلون فانهما وان اختلفا مفهوما فقد اتحدا مقصودا ووجودا اذ لا معنى للتشبيه بالانعام الا المبالغة فى الغفلة فى الدنيا فناسب العطف فى الاول دون الثانى * (تنبيه) * تأمل كيف نبه سبحانه وتعالى على اختصاص المتقين بنيل مالا يناله أحد من وجوه شتى بناء الكلام على اسم الاشارة

للتعليل مع الايجاز وتكريره وتعريف الخبر وتوسط الفصل لاظهار قدرهم والترغيب فى اقتفاء أثرهم وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمى الزراع فلاحا لانه يشق الارض فهم المقطوع لهم بالخير فى الدنيا والآخرة * ولما ذكر الله تعالى خاصة عباده وخاصة أوليائه بصفاتهم التى أهلتهم للهدى والفلاح عقبهم بذكر أضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا تغنى عنهم الآيات والنذر بقوله تعالى (إن الذين كفروا) الكفر لغة ستر النعمة وأصله الكفر بالفتح وهو الستر ومنه قيل للزراع والليل كافر ولكمام الثمر كافور وفى الشرع انكار ما علم بالضرورة مجىء الرسول به وينقسم الى أربعة أقسام كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار هو أن لا يعرف الله أصلا ولا يعترف به وكفر الجحود هو أن يعرف الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس واليهود قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد هو أن يعرف الله بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به ككفر أبى طالب حيث يقول

ولقد علمت بأن دين محمد * من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

وأما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب وجميع هذه الاقسام من لقى الله تعالى بواحد منها لا يغفر له قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به * (تنبيه) * احتجت المعتزلة بما جاء فى القرآن بلفظ الماضى نحو ان الذين كفروا انا نحن نزلنا الذكر انا أرسلنا نوحا على حدوث القرآن لاستدعاء ما جاء فيه بلفظ الماضى سابقية المخبر عنه والقديم يستحيل أن يكون مسبوقا بغيره فأجاب أهل السنة بأن ما جاء فيه بلفظ الماضى مقتضى تعلق الحكم بالمخبر عنه وحدوث مقتضى التعلق لا يستلزم حدوث المخبر عنه فلا يستلزم حدوث كلام الله كما فى علمه تعالى فانه قديم ومقتضى تعلقه بغيره حادث والحاصل أنه لا يلزم من حدوث مقتضى التعلق وهو الكلام اللفظى حدوث الكلام النفسى (سواء عليهم) أى متساو لديهم (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) أى خوفتهم وحذرتهم أم لا والانذار اعلام مع تخويف وتحذير فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا وانما اقتصر عليه دون البشارة لانه أوقع فى القلب وأشد تأثيرا فى النفس من حيث ان دفع الضرر أهم من جلب النفع فاذا لم ينفع فيهم الانذار كانت البشارة بعدم النفع أولى (لا يؤمنون) بما جئت به وهذه الآية فى أقوام حقت عليهم كلمة الشقاء فى سابق علم الله تعالى كأبى جهل وأبى لهب وغيرهما فلا تطمع فى ايمانهم واحتج بهذه الآية من جوز تكليف ما لا يطاق فانه سبحانه وتعالى أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون وأمرهم بالايمان فلو آمنوا وقع الخلف فى كلامه تعالى وهو محال والحق ان التكليف بالممتنع لذاته جائز عقلا غير واقع بخلاف التكليف بالممتنع لغيره كالذى تعلق علم الله تعالى بعدم وقوعه فانه جائز وواقع اتفاقا * (تنبيه) * ههنا همزتان مفتوحتان من كلمة فقالون وأبو عمرو يسهلان الثانية ويدخلان بينهما ألفا وكذا ورش وابن كثير الا انهما لم يدخلا ألفا بينهما ولورش وجه آخر وهو أن يبدل الثانية حرف مد وهشام له وجهان تسهيل الهمزة الثانية وتحقيقها مع ادخال ألف بينهما